مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10 / العـدد: 01 (2022)، ص 893-908

مسيرة النقد النسوي الغربي

TheStages of Western Feminist Criticism

د . سهيلة سبتي[1]

[1]جامعة عنابة / الجزائر souhaila.sebti@univ-annaba.dz

تاريخ الاستلام: 2021/12/16 تاريخ القبول: 2021/12/20 تاريخ النشر:2022/01/23

الملخص :

تتناول مقالتنا مسيرة الحركة النسوية النقدية لدى الغرب الذي كان سبّاقا للممارسة النقدية بفعل توفر مجموعة من الظروف السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية والفكرية التي امتدت عبر أكثر من قرن ، فكانت أول إرهاصة من روسيا مع الناشطة "كولونتاي" التي أطلقت شرارة الفكر الاشتراكي مع حق المساواة في العمل والأجر بين الرجل و المرأة ، ثم فجّرت بعدها السيدة "وولف" دعوتها الملحة لضرورة امتلاك المرأة غرفة خاصة و دخل مالي مستقل كي تتمكن المرأة من الكتابة في ظروف ملائمة تماما مثل نظيرها الرجل. و بعدها كان التجلي الواضح للمصطلح و الممارسة مع مرحلة ما بعد البنوية وما بعد النسوية والتي أثمرت أسماء عديدة وكتب ثرية و أفكار متباينة حول موضوع كتابات المرأة .

الكلمات المفاتيح : النقد النسوي – الكتابة الإبداعية – النسوية – ما بعد النسوية – المجتمع – الغرب .

Abstract :

This article tackles the march of the critical feminist movement in the West, which was a forerunner to critical practice due to the availability of a set of political, social, economic and intellectual conditions that spanned over more than a century. The first foreshadowing was from Russia by the activist "Kolontai" who started the socialist thought regarding the right to equality when it comes to work and wages between

men and women, then she neglected her urgent call for the need for women to be financially independent and have equal income while write under appropriate conditions just like their male counterparts. And then there was the clear manifestation of the term and practice with the post-filial and post-feminist phase, which resulted in many names, rich books and different ideas on the subject of women's writings.

Key words : Feminist criticism - *Creativity* - *Feminism* – Postfeminism – The society - the west

---

المؤلف المرسل: سهيلة سبتي

مقدمة :

ظهر مصطلح النقد النسوي في سياق ابستيمولوجي ما بعد بنيوي يقوم على الانفتاح بين المقاربات النقدية و تفاعلها مع بعضها البعض ، و هو يرتبط بحركات التحرر والمعارضة النسوية التي اشتدت في السبعينات . ولم يكن النقد النسوي ليقوم لولا تأسس رصيد إبداعي نسوي مهم خلال القرن العشرين و ما قبله ، إذ جسّدت هذه الأعمال القاعدة الأولى التي مهّدت لقيام حركة نقدية خاصة بها بعد أن همّشها النقد الأدبي و رجاله ، فانبرت النساء ينقدن نصوصهن التي يبدعنها ليكشفن من خلالها عن كوامن الذات الأنثوية وخصائص لغتها وعوالمها بعيدا عن التعصب الذكوري .

بيد أن الكتابة النقدية النسوية لم تنحصر في دراسة النصوص الإبداعية للكاتبات النساء فقط ، بل تشمل أيضا جملة من الممارسات الفكرية حول مواضيع عدة ، ترتبط كلها بموضوع المرأة و صراعها الفكري والإيديولوجي ضد الرجل و ضد المجتمع . و لهذا فقد أردنا أن تكون مداخلتنا رصدًا لهذه المسيرة النقدية .

بدأ النقد النسوي مسيرته الكتابية مع مطلع القرن العشرين في طابع فكري، تجسد مع كتابات المناضلات العاملات اللواتي كافحن من أجل الحصول على حقوق العمل المتساوي الأجر مع الرجل ، فكانت هذه الكتابات بمثابة الأرضية التي فتحت للمرأة بوابة النقد والتنظير والتأطير و التأريخ ، فتتالت الكتابات الماركسية التي كرّست نفسها لإزالة الغبار عن تاريخ المرأة وحاضرها حتى أزالت الخوف عن الريشة الأنثوية ، فكانت أول ثمرة في العقد الثاني من القرن العشرين مع قلم "فيرجينيا وولف" .

و لهذا سنرصد في مداخلتنا هذه أهم مراحل الكتابة للنقد النسوي التي قسمناها إلى أربعة محطات كالآتي : مرحلة الكتابة ذات الطابع الماركسي ، و بداية التنظير النقدي والكتابة في مرحلة ما بعد البنيوية ، والكتابة في مرحلة ما بعد النسوية .

1-النسوية والماركسية :

احتمت الحركة النسوية في بداياتها بالماركسية التي احتضنت النساء ودعمت دعواتهن التي تهدف إلى ارتقاء المرأة من كائن درجة ثانية إلى مواطِنة ذات حقوق في العمل المأجور خارج البيت ، و تحقيق المساواة مع الرجل في التعليم والانتماء للأحزاب السياسية والمشاركة في الإنتاج الاقتصادي .

بدأت المرأة مسيرتها النضالية بالمطالبة بالحقوق السياسية والاقتصادية على حد سواء، فكان الخروج للعمل في المصانع إضافة إلى العمل داخل البيت ، وقد ولجت المرأة مجال العمل خارج المنزل بفضل الحركة العمالية الشيوعية التي احتضنت النساء العاملات وعززت حضورهن في المصانع و كافحت من أجل تحقيق المساواة في الأجور من جهة ، والحصول على كامل حقوق المواطَنة السياسية – وعلى رأسها حق الانتخاب – من جهة أخرى ، فبرزت نساء عاملات / مناضلات تحت لواء هذه الفلسفة و مقولاتها نذكر منهن : "روزا لوكسمبرغ *Rosa*

Luxemburg" و "كلارا زيتكن Clara Josephine Zetkin" و"ألكسندرا كولونتاي *Alexandra Kollontaï*" التي ناضلت عبر الكتابة الإبداعية والعمل السياسي و التوعية و التنوير للممارسة النسائية الاقتصادية .

كتبت "الكسندرا كولونتاي" عددا من الكتب المهمة التي بينت فيها تاريخ الحركة الاشتراكية للمرأة العاملة ، و أبرزها كتاب " تحرر المرأة العاملة " الذي تحدثت فيه عن أشكال التنظيمات الاشتراكية للنساء العاملات عبر التاريخ و طرق عملها و تطورها ؛ مؤكِدة أهمية عمل المرأة وضرورته في المسيرة الاقتصادية للدولة خاصة في العصر الحديث : عصر الثورة الاشتراكية و الحروب العالمية ، هنا وجدت المرأة نفسها مجبرة على الخروج من كنف الأسرة والرجل إلى أروقة المصانع و طوابير العمال و المكافحين . ورغم الحضور القوي للمرأة في ساحات العمل إلا أن : " لا مساواة المرأة في المجالين الاقتصادي والسياسي ، وعبوديتها للأسرة وللعمل المنزلي ، قد ولدتا عازلا نفسانيا بين العمال والعاملات ، فكانتا التربة التي نمت عليها التنظيمات الخاصة بالعاملات في موازاة الأحزاب الاشتراكية العمالية العامة في مختلف الأقطار ، على شكل جمعيات أو اتحادات أو نواد للعاملات . ولكن بالقدر الذي تكثف فيه نشاط الأحزاب الاشتراكية الدعاوي بين العاملات ، تسارعت عملية اضمحلال هذه التنظيمات العمالية النسائية . فيرى أن التغيير الجذري الذي طرأ على كافة نواحي حياة الطبقة العاملة النسائية ، البيتية منها والعائلية ، وتحقق مساواتها القانونية مع الرجل ، هما العاملان الكفيلان بتكنيس ما تبقى من حواجز بين المرأة العاملة وبين إطلاق كامل قواها للمساهمة بحرية في الصراع الطبقي ." (كولونتاي 1978، 8) لقد كان للاشتراكية الشيوعية دورا بارزا في تدعيم منظمات البروليتاريا النسائية التي تصاعد مدّها وتفاقم دورها بعد الحرب العالمية الأولى والثورة الروسية ، حيث انطلقت من النضال الحزبي الاشتراكي الذي تبنى نشاط النساء الحزبيات مثل "ألكسندرا كولونتاي " وخصص

مكاتب للمناضلات بغية تسيير الاجتماعات ، إضافة إلى تطوير مسار البروليتاريا النسائية عبر المشاركة في الأحداث السياسية الكبرى فتؤكد قائلة : " إن الثورة قد عوّدت العاملات على الحركات الجماهيرية الكبيرة ، على النضال من أجل تحقيق الشيوعية. و حققت الثورة في روسيا المساواة الكاملة للمرأة في الحقوق السياسية و المواطنية . و نفذت مطالب العاملات في كافة الأقطار : العمل المتساوي للأجر المتساوي . " (كولونتاي 1978، 9) إن الماركسية الشيوعية هي النظام العالمي النموذجي الذي حرر المرأة من قيود الفكر التقليدي لِيَزُجَّ بها في صفوف الجماهير المناضلة ووسط البروليتاريا الكادحة ... و من قلب المصانع ومكاتب الأحزاب السياسية إلى الحياة الاجتماعية اللائقة والمريحة.

تطرقت ألكسندرا" / المناضلة النسوية إلى الحديث عن الأسرة و الشيوعية التي قدمت فرص الانعتاق من عبودية الزوج و الأعمال المنزلية الشاقة و وفرت لها ظروفا مريحة للعمل من خلال تحريرها من عبء الأسرة الذي يثقل كاهلها : " لا مفر من الاعتراف بالحقيقة القائلة بأن الأسرة من النمط القديم قد تجاوزها الزمن . والمسؤول عن ذلك ليس المجتمع الشيوعي ، و إنما هو تغير ظروف الحياة . لم تعد الأسرة ضرورية للدولة كما كانت بالأمس . لا بل إنها أسوأ من مجرد مؤسسة عديمة الجدوى لأنها تمنع النساء العاملات من القيام بعملهن بمزيد من الإنتاجية و الجد . و لم تعد الأسرة ضرورية لأفرادها أنفسهم ، لأن مهام تربية الأطفال ، و قد كانت بالأمس ملقاة على عاتق الأسرة، أخذت تنتقل الآن إلى عاتق / المجموع . و لكن على أنقاض الأسرة السابقة سوف يبنى شكل للعلاقات بين الرجل والمرأة جديد كليا : اتحاد عاطفي – رفاقي يقوم على المساواة بين مواطنين من أبناء المجتمع الشيوعي في ممارسة حريتهما واستقلالهما وعملهما ." (كولونتاي 1978، 33-34) هكذا يتولى المجتمع الشيوعي رعاية أفراد الأسرة عن طريق

توفير دور الحضانة والمطاعم محلات الغسيل و المصانع الخياطة والغذاء، فتُنتَج أسرة جديدة في مجتمع عمالي يقوم على ثنائية العامل / الرجل و العاملة / المرأة.

أسهمت الماركسية الشيوعية و محاضرات مناضلتها "ألكسندرا كولونتاي " حول تحرر المرأة في تنوير الوعي النسوي لدى مختلف المجتمعات – الاشتراكية منها والرأسمالية - عبر الكشف عن دور الأسرة التقليدية في اضطهاد المرأة و انعاتقها من بوتقة التبعية الاقتصادية للرجل ، إضافة إلى إنجازات الثورة الروسية التي سهلت الطلاق واعترفت بالأطفال خارج مؤسسة الزواج ، و تقنينها للإجهاض و توفيره في مؤسساتها الاستشفائية .

استمرت الحركة النسوية الماركسية و الليبرالية في المد و الجزر مع الأحداث العالمية المتسارعة و التطورات الأدبية و النقدية ، فظهرت أعمال إبداعية ودراسات نقدية وفكرية في مجال الأدب تعزز النضال السياسي والاقتصادي داخل الحقل الاجتماعي ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : كتاب "فرجينيا وولف Virginia Woolf " : "غرفة للمرء وحده" سنة 1929م ، و كتاب "سيمون دو بوفوار Simone de Beauvoir": "الجنس الثاني" سنة 1949م وكتاب "جوليا كريستيفا Julia Kristeva " : "الشعرية " سنة 1969م ، و كتاب "كايت ميليت Kate Millett " : "السياسات الجنسية" سنة 1970م و كتاب "إلين شوالترElaine Showalter " : "نحو بلاغة نسوية" سنة 1979م .

أسهمت الدراسات المذكورة في تجديد روح التيار النسوي و تغيير مساره ، إذ انتقلت من مجال الكتابة الإبداعية لتؤصل لمصلطلح و ممارسة جديدين هما : "**النقد النسوي**" الذي يقوم على مقاربة النصوص النسوية من منظور داخلي بعيدا عن مقاربات الرجال التي تتروح بين تجاهل تام لهذه النصوص و بين تقليل لقيمتها بسبب أن صاحباتها مجرد نساء .

2-فيرجينيا وولف و بداية التنظير النقدي:

بدأت النسوية تتغلغل فكرا و تتعمق نقدا مع العقود الأولى للقرن العشرين ، حيث انبرت النساء للكتابة بشراسة ليدافعن عن حقوقهن في التأليف و الإبداع تماما كدفاعهن عن المطالب السياسية و الاجتماعية التي بدأت تتحقق على أرض الواقع و أولها حق الانتخاب .

و في خضم الكفاح لنيل الحقوق السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية ظهرت مقالات وروايات "فيرجينيا وولف Virginia Woolf " لتطالب بحقوق أخرى هي : حق الكتابة الإبداعية ومعها ممارسة النقد الأدبي . و قد تجلى هذا التوجه المندفع لـ "فيرجينيا وولف" في تكريس قلمها للمطالبة بحرية الكتابة والتأليف للمرأة و مساواتها مع قلم الرجل من جهة ، و ضرورة الاعتناء و التنبه لكتابات النساء من جهة أخرى . وقد جسّدت هي بنفسها هذه المطالب من خلال مجموعة من الروايات منها رواية : "أورلاندو" 1928م و"الأمواج" 1931م و"السنوات" 1937م ، وكذا جملة من المقالات النقدية أشهرها : "القارئ العادي" 1925م و "غرفة للمرء وحده" 1929م .

تطرقت "فيرجينيا" في كتابها "غرفة تخص المرء وحده A Room of One's Own" لجملة من القضايا المهمة و الأفكار المغايرة لما هو مطروح حول الأدب و النسوية والإبداع : فهي لم تحرص على سرد قوائم المبدعات عبر تاريخ انكلترا أو أوروبا ، و لم تهتم بالقدرات اللغوية والتخييلية للنساء الكاتبات ومقارنتها بجمل الرجال ، لأن هذا أمر لا يحتاج إلى تأكيد أو دراسة ذلك أن الناشطة "وولف" تؤمن بالملكات الفطرية للمرأة في مجال الكتابة السردية و التخييل الشعري . بل صرّحت بكل انسيابية مع أول المقالة : "لقد بدا لي أن كل ما في وسعي عمله هو أن أقدم لكم رأيي الخاص حول نقطة واحدة صغيرة : إذا أرادت امرأة الكتابة فعليها أن تمتلك غرفة تخصها وحدها و بعض المال ." (وولف، غرفة

تخص المرء وحده 2009، 24) هنا غايرت الناقدة "وولف" توقع طالباتها وقرّائها، إلا أن توجهها الجديد يرتبط بشكل مباشر بنضالها التحرري ضد القيود الذكورية و السعي للحصول على الاستقلال المالي للمرأة ، ذلك أن المرأة لن تستطيع الكتابة دون اسم مستعار إلا إذا امتلكت مالا يوفر لها استقلالية أنثوية ويحقق لها قدرة مادية للكتابة و الطبع و النشر.

أعلنت السيدة / القارئة "وولف" عن استنتاجها الذي توصلت إليه بعد رحلة قراءة عميقة و واسعة للأدب الانكليزي و الأوروبي ، استرشدت خلالها النساء الكاتبات عبر القرون السابقة . وهنا كانت المفارقة في قراءة "فيرجينيا" حيث لم تعمد إلى تأكيد قدرة النساء على كتابة نصوص تخييلية و لم تهتم بصفة الدونية التي أطلقها الرجال على كل ما يحمل وسم الأنوثة ، بل رصدت ظروف الكاتبات أثناء الكتابة و تعمقت في تفاصيل حياتهن الاجتماعية والاقتصادية . و عبر كل اسم و تجربة ، و مع تتالي القرون و تغير نمط الحياة اليومية أدركت "فيرجينيا" أن أهم عامل يُمكِّن المرأة من الكتابة هو الخصوصية التي لا تتحقق إلا بالانفصال عن الحيز الاجتماعي و الاقتصادي للحياة الذكورية .

انبرت "فيرجينيا" عبر محاضراتها الطويلة في ممارسة جديدة للقلم الأنثوي : تسرد أسماء لروائيات تختلف عصورهن و حكاياتهن حتى تصل لنفسها ، و عبر كل تجربة أدبية نسائية تؤكد لنا أهمية امتلاك المرأة للمال وضرورته ؛ لم تكن تلك السطور مجرد وقائع ترويها "فيرجينيا" لتعرفنا بهؤلاء أو لتستعرض معلوماتها أمام القراء ، بل هي إرهاصات نقدية و فكرية أسست بها أولى معالم النقد النسوي : "يعد كتاب فيرجينيا وولف" بمثابة مانيفستو الحركة النقدية النسوية في القرن العشرين . و هي الحركة التي وصلت أوجها في السبعينات و ضمت أسماء مثل كيت ميلليت ، جرمين جيرير ، مارلين فرنش و أليس جاردين ، و تبرز فيها الآن

أسماء مثل جوليا كريستيفا وهيلين سيسكو ." (وولف، غرفة تخص المرء وحده 2009، 7)

اهتمت "وولف" بكتابات المرأة وأنجزت قراءة نقدية / نسوية في لغتها ومضامينها دون مقابلتها أو مقارنتها مع كتابات الرجال ، بل طرحت تحليلا مغايرا و مثيرا لفكرتها بيّنت من خلاله أن اختلاف النصوص الإبداعية يكمن بين المرأة التي تمتلك المال و التي لا تمتلك المال ، وليس بين لغة المرأة أمام لغة الرجل : "هاهو ذا الأمر إذن، الحرية الفكرية تتوقف على الأشياء المادية . والشعر يعتمد على الحرية الفكرية . النساء كن دائما فقيرات، لا لمدة مائتي عام فقط ولكن منذ بداية الخليقة، وكن أقل حرية فكرية من أبناء العبيد في أثينا. النساء إذن لم تكن لديهن أقل فرصة لكتابة الشعر. هذا هو السبب الذي جعلني أؤكد كل هذا التأكيد على ضرورة النقود والغرفة الخاصة. ولكن الفضل يعود إلى أولئك النسوة المغمورات في الماضي." (وولف، غرفة تخص المرء وحده 2009، 197) فحسب "فرجينيا" إذن تتغير التوجهات و الأفكار بين الكتابتين: الأولى فيها استقلالية فكرية وتوجه نحو القضايا الكبرى مثل السياسة والإنسان والتاريخ والوجود ، والثانية تقتصر مضامينها على ثنائية المرأة والرجل و الصراع بينهما ومحاولة لإثبات الحضور الوجودي والجنساني للمرأة، فكتابة النساء اللواتي تحقق لديهن الاستقلال المادي تعد بداية التاريخ الفعلي و الفعل الحقيقي لاكتشاف العالم ، حيث : "تعتبر مناقشة وولف حول التعليم مسألة رئيسية في تفسيرها العام لافتقار النساء إلى طريق للوصول إلى الكتابة . وتعتبر تأكيدات وولف على التعليم والخبرة باعتبارهما شرطين ضروريين لحياة النساء الفكرية والثقافية تجليا لنزعتها المادية التي تعتبر هذه العوامل جزءا من سوسيولوجيا الثقافة التي تصبح فيها البيئة الاجتماعية عاملا مقررا في الإنتاج الأدبي أبعد أهمية من أي مفهوم الإبداع باعتباره خصيصة ذاتية." (ظاهر 2001، 76)

لقد فجّرت المثقفة "فيرجينيا وولف" أفكارا مهمة و عميقة حول كتابة النساء بين الحق والواجب والحرية و الإسهام الفكري للوجود الإنساني ، إلا أن فتيل أفكارها الذي كاد أن يشتعل انطفأ بمجرد غرقها في نهر Ouse ، ولكن بمجرد عودة الحركة النسوية بعد منتصف القرن العشرين حتى عادت النسويات لكتاباتها إلى أن غدت الملهم الأول لنسوية السبعينات .

3-النقد النسوي و ما بعد البنيوية :

انطلق النقد النسوي مع سبعينات القرن العشرين متوافقا مع انشطارات ما بعد البنيوية التي انفتحت على التفكيك و علم النفس التحليلي و لاوعي النص وعلم اللغة و النقد السنمائي، ذلك أن : "سلطات مرحلة ما بعد البنوية ، رفعت معدلات الرصيد النقدي ليتسلل إلى أنشطة مختلفة (السياسة ، الدين ، التعليم ، الاقتصاد ، الاجتماع ، الثقافة ، الأكاديمية...) [...] . وقد مارست الاستراتيجية النقدية ما بعد البنوية تناسبات عكسية بين انخفاض نسبة الحضور الإنساني ، و ارتفاع نسبة النصية و الخطابية." (سالم سعد الله 2007، 24) وقد كانت هذه الثورة النقدية المغايرة في التعامل مع النصوص الأدبية : إبداعا و قراءة و نقدا تربة خصبة لنمو النقد النسوي ، فاتجهت النساء في أوروبا و أمريكا و العالم الثالث نحو تصعيد المد التحرري ضد السلطة الذكورية والسياسية ، و حتى المعرفية و العلمية فكانت : "هذه التأثيرات كلها ، حركة المرأة و تطوير الدراسات النسائية و تأثير النظرية الأوروبية ، قد شكّلت النقد النسائي للثمانينات من القرن العشرين . لقد انتقلت المرأة الناقدة الكاتبة بالمسار الفكري للنقد النسائي من التركيز على الخضوع الأدبي النسائي ، و إساءة المعاملة ، والإقصاء إلى دراسة تقاليد الأدب النسائي المنفصل ، إلى تحليل البنية الرمزية للتذكير والتأنيث ، ضمن الحديث الأدبي." (حفناوي 2009، 272) ولم تنحصر جهود النسويات في اعتماد آليات التفكيك و معطيات التحليل النفسي ، بل تم

توسيع مجالات النقد ليشمل تخوم ما بعد الحداثة و ما بعد الكولونيالية والنقد الثقافي .

يُعدّ النقد النسوي فرعا من فروع النقد الثقافي لأنه يتجاوز المركزية الغربية الأحادية التي أسستها مرحلة الحداثة ، ليهتم بالكتابات الهامشية في العالم الثالث و إبداعات المستعمرات و كتابات النساء التي لم تُؤخَذ بعين الاعتبار ، ويتوافق النقد النسوي و:"ينضوي تحت عباءة النقد الثقافي من خلال الاستفادة من الآليات في المنهجية في مقاربته إلى تطوير رؤاه" (مصاص بلا تاريخ، 169) إذ أنه وجد فيه ضالته التي قوّضت المركزية الذكورية و فتحت له المجال لاستجلاء النصوص الأنثوية التي غدت خطابات تؤسس لمركزية أنثوية مقابلة للأولى ومزيلة لها في آن واحد .

ينطلق النقد النسوي ذو المنظور النقدي الثقافي من النص الأدبي متوجها نحو السياقات السوسيو- ثقافية ثم متغلغلا بين ثنايا النص ، فيحوّل النص إلى خطاب متشبع بجملة من الأنساق الثقافية المضمرة و الظاهرة التي شكّلت تاريخ المرأة و حددت معالم عصورها الماضية والحاضرة ، فيكشف عن الاضطهادات التي عاشتها المرأة و أخفتها الأنظمة البطرياركية على مر التاريخ ؛ ثم يسعى بعد عملية الكشف إلى إبراز الرؤى الفكرية والسياسية من منظور المرأة المعاصرة .

ظلت الناقدات النسويات يمتحن من إجراءات النقد الثقافي و التفكيك والتحليل النفسي المفتوحة على كل ما هو خارج نصي ، و في إطار هذه الأوضاع والآفاق الما بعدحداثية برزت عناوين و أسماء نسوية كثيرة تكتب دون هوادة في النقد و الفكر والسياسة و المجتمع والعلم . و حققت المرأة مع حلول الثمانينات إنجازات كبيرة و كثيرة على مختلف الأصعدة ، و في خضم أعلى مستويات النجاح و الإنجاز طرحت وسائل اللإعلام الغربية سؤالا حاسما هو :

ماذا بعد النظرية النسوية ؟

ولقد أثار هذا التساؤل استفهامات و نقاشات عدة داخل الحركة النسوية ذاتها : بين مواصلة للمسيرة النضالية و بين التوقف عند هذه الحدود .

4-النقد النسوي و ما بعد النسوية :

أثار مصطلح " ما بعد النسوية " سجالات عدة داخل الحركة النسوية ذاتها ، فكانت التساؤلات حول الحركة النسوية و مسارها خلال القرن العشرين ، كما تم التطرق إلى إنجازات الجيل الأول و الثاني للنسويات والتنظير للجيل الثالث الذي ينطوي تحت مقولة "ما بعد النسوية " . وقد برزت كتابات عدة لناشطات وناقدات نسويات حول فكرة ما بعد النسوية أبرزها كتاب "النسوية وما بعد النسوية The Routledge Critical Dictinary Of Feminism and Postfeminism" لـ"سارة جامبلSarah Gamble" .

صدرت أول طبعة لكتاب "سارة جامبل" سنة 2000م مع مطلع الألفية الجديدة، أي بعد أكثر من قرن من النضال و التحدي و المواجهة للمرأة الغربية . وكما هو معلوم فقد كان للمرأة الأمريكية دروا مهما في هذه المسيرة النضالية ، ولهذا كان ظهور هذا المصطلح نتيجة بديهية بعد أن حققت المرأة كثيرا من مطالبها ، إذ كتبت في الإبداع و النقد، و تقلدت أهم المناصب في العمل بدءا من العمل الإداري وصولا إلى السياسي . وبعد كل هذا النجاح و الاجتياح لمختلف المجالات الحياتية طرحت بعض وسائل ا'لإعلام الأمريكية سؤالا :

هل انتهى دور الحركة النسوية ؟

وهل هناك ما بعدها ؟

وما هو المقصود بما بعد النسوية ؟

تعرّف الكاتبة مصطلح ما بعد النسوية فتقول : "يمكن القول بأن الجدل حول ما بعد النسوية يميل إلى أن يتبلور حول قضايا كون المرأة ضحية واستقلالها الذاتي ومسؤولياتها. ونظرا لأنه ينتقد أي تعريف للمرأة بأنها ضحية غير

قادرة على السيطرة على حياتها ، فإنه يميل إلى عدم الاستعداد لإدانة المواد الإباحية الجنسية الفاضحة، [...] و نظرا لأنه يميل لصالح النزعة الإنسانية الليبرالية ، فإنه يعتنق إيديولوجية مرنة يمكن تكييفها حسب الاحتياجات والرغبات الفردية . وأخيرا ونظرا لأنه يميل إلى أن يتبنى ضمنيا مبدأ الميل إلى الجنس الآخر فإن تيار ما بعد النسوية يحاول عموما وضع مجموعة من الأولويات التي يكون للرجل فيها مكانا كعاشق و زوج وأب وصديق أيضا ." (جاميل 2002، 78) وفق هذا التعريف تتجلى لنا ما بعد النسوية كحركة مناقضة لحركة النسوية و معادية لنمط المرأة التي أطّرتها ، الأمر الذي أثار رائدات الجيل الثاني ، فكانت الكتابات النقدية تتوالى بين الكاتبات بين مؤيد للمصطلح مثل "نعومي وولف" في كتاب "نار بنار" سنة 1993م و "كاتي رويفي" صاحبة كتاب "الصباح التالي: الخوف و الجنس والنسوية" 1993م ، وبين المعارضات مثل "جيرمين جيرير" في كتاب "المرأة الكاملة" سنة 1999م .

احتدّت المناقشات حول ما قدمته الحركة النسوية بأدبها و نقدها للمرأة ، و بين المتشددات للحركة والمتجاوزات لها ظهر مصطلح آخر هو "الجيل الثالث" و : "هو مصطلح يفترض بالضرورة أمرين متلازمين هما الاستمرار و التغيير في تلاحم وثيق . وقد ظهرت مجموعة من جماعات المرأة في إطار هذه الموجة الثالثة في الولايات المتحدة ، ومن بينها ائتلاف العمل النسائي و الموجة الثالثة (التي أسستها ريبكا ووكر [...] إن الاختلاف الأساسي بين الموجة الثالثة و الموجة الثانية هو أن النسويات في الموجة الثالثة لا يجدن بأسا من التناقض، لأنهن نشأن في وسط بنيات نسوية متنافسة فأصبحن يقبلن التعددية كأمر مسلم به ." (جاميل 2002، 88) يتبنى هذا الجيل من النساء الوسطية بين التعصب الذي اتسمت به نسوية السبعينات و بين التجاوز الذي دعت إليه ما بعد نسوية الثمانينات والتسعينات ، ومرد هذه الوسطية أن تلك النسوة قد نشأن في عصر يشهد أقصى

درجات التحرر الجنسي للمرأة الذي يصل إلى درجة الإباحية، يقابله دعوات نسائية للحد من هذا التحرر و التنديد به . ولهذا فقد كانت ميزة هذا الجيل هي التعددية لأن المنتميات إليه يتنوعن بين النساء البيض و السود و نساء العالم الثالث بشرقه وغربه .

فهل يعني هذا أفول النظرية النسوية و زوالها ؟

أم أنها تجددت في ثوب جديد لعصر مغاير ؟

تجيب "سارة جامبل" على هذه التساؤلات فتقول : "ربما تستطيع الموجة النسوية الثالثة بعكس ما بعد النسوية أن تصف موقفا يمكن من خلاله الاحتفاء بالتيارات النسوية السابقة ونقدها في آن واحد . و يمكن من خلاله وضع استراتيجيات جديدة . و بفضل حالة التغيير الاقتصادي والسياسي و التكنولوجي الذي يتسم به العصر الحديث تجد المرأة أمامها من الفرص والأخطار ما لم تكن الموجة الأولى و الثانية لتتصوره . و لكن مهما كانت المسميات ، و مهما كانت الصور التي ستتخذها هذه الموجة ، فمن الضروري أن تواصل المرأة النضال من أجل قضيتها خلال الألفية الجديدة ." (جاميل 2002، 82)[1] إن المرأة المعاصرة تعيش مرحلة مهمة جدا في تاريخ البشرية ، إنه عصر التكنولوجيا والتطور العلمي

1- الكسندرا كولونتاي : تحرر المرأة العاملة ، ترجمة : فواز طرابلسي و فواز الحسيني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 3 ، 1978م.

2- فيرجينيا وولف : غرفة تخص المرء وحده ، ترجمة سمية رمضان ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط 1، 2009م.

3- رضا ظاهر : غرفة فرجينيا وولف دراسة في كتابة النساء ، دار المدى ، ط 1 ، 2001م .

4-محمد سالم سعد الله : الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، سوريا ، ط 1 ، 2007م .

5-حفناوي بعلي : مدخل في نظرية النقد النسوي و مابعد النسوية : قراءة في سفر التكوين النسائي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2009م .

6-جمعة مصاص : النقد النسوي و علاقته بالنقد الثقافي ، مجلة كلية الآداب و اللغات ، جامعة خنشلة ، عدد 1 .

7-سارة جامبل : النسوية وما بعد النسوية (دراسات و معجم نقدي) ، ترجمة : أحمد الشامي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2002م.

، و بما أن المرأة قد حققت الكثير من مطالبها وجسدت المساواة مع الرجل في كثير من الأمور فقد آن لها الآن أن تواصل مسيرتها و تحافظ على إنجازات سابقاتها ، ليس عن طريق مواصلة الكتابة حول الجسد و اللغة و الفلسفة والعلم وفق المرجعيات الفكرية للنسوية فقط ، بل أيضا عن طريق استيعاب تكنولوجيا العصر والبحث في مواضيع جديدة مثل : النسوية و التكنولوجيا، والمرأة والرياضة، و النسوية و الخيال العلمي، والنسوية ونزعة المسالمة ...إلخ.

خاتمة :

شهدت الكتابة النقدية لتيار النسوية مسارا حافلا بالتنوع و الثراء ، بدءا من البدايات الماركسية في الشرق و الليبرالية في الغرب مرورا بالحداثة و أزمتها وصولا إلى ما بعد النسوية . وما نستشفه من دراستنا هذه أن النقد و الكتابة النسويين لم ينفصلا عن الحركة الأدبية السائرة :

-أما كتابات "ألكسندرا كولونتاي" الفكرية فنجدها لم تتجاوز أفكار الماركسية وطروحات الشيوعية لتأسيس المجتمع، بل جاءت مُرَوِّجة لها و مُقِرّة لما طرحه "ماركس" و "انكلز" / الرجل .

-أما كتابات النقد النسوي فقد ارتبطت ارتباطا مباشرا بأوضاع ما بعد البنيوية وخاصة النقد الثقافي ، حيث أن الناقدات النسويات اعتمدن مقولاته الثقافية ليبرزن سمات مغايرة لإبداعات الأنثى واختلاف لغتها عن لغة الرجل. وهنا نرى أنها تسعى لتأكيد هذا الاختلاف من خلال ما أسسه "ليتش" / الرجل .

-أما دعوات ما بعد النسوية و الجيل الثالث فقد عاشت إنجازات النسويات السابقات وأبحرت في إيديولوجيا الأنوثة إلى حد التشبع ، مما حدا بها إلى الترنح بين الدعوة لمواصلة الكفاح ضد الغطرسة المجتمعية حينا ، و بين العودة إلى أحضان الرجولة حينا آخر.

لقد سارت الكتابة النسوية حذو ثقافة المجتمعات التي نشأت فيها و حاربتها وحققت إنجازات مهمة لم يشهدها تاريخ المرأة من قبل ، إلا أنها اتسمت بالتعصب في بعض توجهاتها سعيا منها للانفصال عن الكتابة الرجالية وتأصيلا للكتابة النسوية البحتة ؛ وإن محاولة الانفصال هذه لا يمكن لها أن تتأتى لأن الإبداع هو جوهر الإنسان و ليس خاصية للذكر دون الأنثى أو العكس . وكتابات المرأة التي كرّستها لتعزيز هذه الاستقلالية وتكريسها لم تخرج عن إطار كتابات الرجل كالكتابة حول الجسد و اللغة و مركزية الذات و جدل الثقافة والسياسة ... إلخ ، و هذا لا يعني التطابق بينهما ، بل هناك اختلافات في الطرح مردها اختلاف وجهات النظر والثقافة و المركز الاجتماعي و المرجعيات الفكرية والفلسفية لكل كاتب أو كاتبة .

و هكذا فقد انطلق النقد النسوي بشقيه : الفكري و الأدبي من الصراع الاجتماعي في بداياته ليتحد مع النقد الأدبي في العصر الراهن .